كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عرب منهم جرهم الذين نشأ
اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان ببابل من العرب طايفة قديمة
قبل ابراهيم اه وقد يقال انه كان لسان اكثر الناس بالسريانية فلا ينافي
ذلك فان قيل ما فايدة قوله تعالى من فوقهم والسقف من فوقهم اجيب بانهم
قد لا يكونون تحته فلما قال فخر عليهم السقف من فوقهم دل على انهم كانوا
تحته وح يفيد هذا الكلام لان الابنية قد تهدم وهم ما تحتها ولما
ذكر تعالى لهذا المكر في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة بقوله ثم يوم القيمة يخزيهم اي
يذلهم ويهينهم بعذاب النار ويقول لهم الله تعالى على لسان الملايكة توبيخا
اين شركائي اي في زعمكم واعتقادكم الذين كنتم تشاقون اي تخالفون
المومنين فيهم اي في شانهم وقرا نافع بكسر النون والباقون بفتحها قال
اي يقول الذين اوتوا العلم اي من الانبياء والمومنين وقال ابن عباس
يريد الملايكة ان الخزي اي البلا المذل اليوم اي يوم الفصل الذي
يكون للفايز فيه العاقبة المامونة والسوء اي كلما يسوء في يوم القيمة
على الكافرين اي الفريقين في الكفر الذين تكبروا في غير موضع التكبر وفايدة
قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لا يكون لطفا لمن سمعه
تنبيه في الاية دليل على ان ماهية الخزي وماهية السوء يوم القيامة
مختصة بالكافرين ولهذا ينبغي هذه الماهية في حق غيرهم ويوكد
هذا قول موسى عليه السلام انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى
ثم انه تعالى وصف عذاب هولا الكافرين من وجه آخر فقال سبحانه وتعالى
الذين تتوفاهم الملايكة اي يقبض ارواحهم ملك الموت واعوانه وقرا حمزة
في هذه الاية وفي الاية الثانية الآتية بالياء في الموضعين على التذكير لان
الملايكة ذكور والباقون بالتاء على التانيث للفظ لان لفظ الجمع مونث
ظالمي انفسهم اي بان عرضوها للعذاب المخلد بكفرهم فالقوا
السلم اي استسلموا وانقادوا حين عاينوا الموت قايلين
ما كنا نعمل من سوء اي شرك وعدوان فتقول لهم الملايكة بلى
اي بل كنتم تعملون اعظم السوء على تكذيبهم بقوله تعالى ان الله
عليم بما كنتم تعملون اي فلا فايدة لكم في انكاركم فيجازيكم به ولما كان
هذا الفعل مع العلم سببا لدخول جهنم قال تعالى فادخلوا اي ايها
الكفرة ابواب جهنم اي ابواب طبقاتها ودركاتها خالدين
اي مقدرين الخلود فيها اي جهنم لا يخرجون منها وانما قال تعالى ذلك
لهم ليكون اعظم في الخزي والغم وفي ذلك دليل على ان الكفار بعضهم اشد
عذابا من بعض ثم قال تعالى فلبئس مثوى اي ماوى المتكبرين عن
قبول التوحيد وساير ما اتت به الرسل ولما بين تعالى احوال المكذبين ذكر

احوال

احوال الصديقين بقوله تعالى وقيل للذين اتقوا اي خافوا عقاب الله ماذا اي
اي شيء انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وذلك ان احيا العرب كانوا يبعثون
ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا سال الذين
قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر كاهن كذاب مجنون ولو لم تلقه خير
لك فيقول السايل انا شر وافد ان رجعت الي قومي دون ان ادخل مكة والقاه
فيدخل مكة فيرى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث
من الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا الاية
فان قيل لم رفع الاول وهو قولهم اساطير الاولين ونصب الثاني وهو قولهم
خيرا اجيب بانه ذكر ذلك للفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد وذلك
انهم لما سالوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن
السوال فقالوا اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم لم يعتقدوا
كونه منزلا ولما سالوا المومنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم
يتلعثموا وطابقوا الجواب عن السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا
اي انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا وهو وقف تام ثم ابتدا بقوله تعالى
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي حياة طيبة او ان للذين
اتوا بالاعمال الصالحات الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة
الى العشرة الى السبعماية الى اضعاف كثيرة او انه تعالى بين ان اعترافهم
بذلك احسان في هذه الدنيا حسنة اي جزا لهم على احسانهم هل جزا
الاحسان الا الاحسان ولما كانت هذه الدار سريعة الزوال اخبر عن حالهم
في الآخرة فقال ولدار الآخرة اي الجنة خير اي ما اعد الله لهم في الجنة خير
مما حصل لهم في الدنيا ثم مدحها ومدحهم بقوله تعالى ولنعم دار المتقين
اي دار الآخرة فحذف لتقدم ذكرها وقال الحسن هي الدنيا لان النفوس
يتزودون فيها للآخرة وقوله جنات اي بساتين عدن اي اقامة
خبر مبتدا محذوف ويصح ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها اي تلك
الجنات حالة كونها تجري من تحتها اي من تحت غرفها الانهار ثم كان
سايلا عما فيها من الثمار وغيرها فاجيب بان لهم فيها ما يشاؤن
اي ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادة غير ذلك فهذه الاية تدل
على حصول كل الخيرات والسعادات فهي ابلغ من قوله تعالى فيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين لان هذين القسمين داخلان في قوله تعالى
لهم فيها ما يشاؤن مع اقسام اخرى وعلى ان الانسان لا يجد كلما يريده
في الدنيا لان قوله لهم فيها ما يشاؤن يفيد الحصر كذلك اي مثل هذا
الجزا العظيم يجزي الله اي الذي له الكمال كله المتقين اي الراسخين
في صفة التقوى حث تعالى على ملازمة التقوى بالتنبيه على ان

Copyright © King Saud University